

فى الرحاب اهل بيت (ع): الشفاعة

كلمه المجمع

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى اخترنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطي أهل البيت: الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التى أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التى ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطي أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التى حرصت فى الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام فى خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب فى كلّ عصر.

إنّ التجارب التى تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى هذا المضمار فريدة فى نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمى يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوى الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة فى باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التى أثّرت فى عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استئثار العقل

المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنتفع على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

والجدير بالذكر إنّ هذا الأثر (الشفاعة) قد تمّ تحريره في الطبقات السابقة بقلم الأخ العزيز الشيخ عبدالكريم البهبهاني، بعدما أعدّت في لجنة خاصة من مجموعة الأفاضل.

ونظراً لإكتشاف بعض النواقص فيه، قامت الهيئة العلمية أيضاً بمراجعته ثانية تحت إشراف لجنة الكتاب في المجمع، وبعد التدقيق وحذف وإضافة بعض المطالب، أعدّ للطباعة من جديد بقلم الأخ الفاضل محمد العبادي؛ وذلك تنميماً للفائدة.

ومن هنا نشكر كلّ مَنْ ساهم في هذا الأثر، ونرجو له من العليّ القدير أجراً وافراً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية

الشفاعة

لاشكّ إنّ الشفاعة من المفاهيم الإسلامية التي وردت في الكتاب والسنة النبوية الشريفة بشكل صريح وكوّنت جزءاً من ثقافة المسلمين واهتمامهم وجرت عليها سيرة المسلمين، وليس من السهل إنكارها، ويتعذّر ذلك إلّا مع وجود تفسيرات خاطئة لمعناها، وهو ما دعا البعض الى طرح شبهات تنمّ عن عدم فهم الشفاعة وفقاً للمنظور الإسلامي الصحيح. وفي هذا البحث

سنسلط الضوء على معنى الشفاعة لغة واصطلاحاً، ومفهومها في القرآن والسنة النبوية، وما يرتبط بذلك من الشفيع والشفوع

لهم، ومن ثم نجيب عن الشبهات التي أثيرت حول الشفاعة، ونخلص بعدها الى نتيجة البحث وفيما يلي بيان ذلك:

معنى الشفاعة اللغه و الاصلاح

الشفع ما كان من العدد أزواجاً. نقول: كان وترأ فشفعته بالآخر حتى صار شفعاً. والشافع: الطالب لغيره، وتقول استشفعت بفلان

فتشفع لى إليه فشفعه فى. والشافع:المعين¹.

واستشفعته الى فلان، أى سألته أن يشفع لى إليه وتشفعّت إليه فى فلان فشفعنى فيه تشفيعاً². وللشفاعة أصل واحد يدل على

مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع، خلاف الوتر، تقول كان فرداً فشفعته³.

وأما معنى الشفاعة فى الاصطلاح هى طلب رفع المضار عن الغير ممّن هو أعلى رتبة منه لأجل طلبه⁴. وعرفّها المحقّق الحلّى

بأنّها حقيقة فى إسقاط المضار، فلا يكون حقيقة فى غيره دفعاً للاشتراك⁵. وعرفّها السيّد الطباطبائى فقال: الشفاعة على ما

نعرف من معناها إجمالاً بالقريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون (هى من الشفع مقابل الوتر كأنّ الشفيع ينضمّ الى الوسيلة

الناقصة التى مع المستشفع فيصير به زوجاً بعدما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريد، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته

وضعفها وقصورها) من الأمور التى نستعملها لإنجاح المقاصد، ونستعين بها على حوائج الحياة، وجل الموارد التى نستعملها فيها

إمّا مورد يقصد فيها جلب المنفعة والخير، وإما مورد يطلب فيها دفع المضرة والشرّ، لكن لا كلّ نفع ضرر⁶. أمّا صاحب

تفسير الأمل فقال: الشفاعة هى العون الذى يقدمه قوى لضعيف لكى يساعده على اجتياز مراحل تكامله بسهولة ونجاح. إلّا أن

الكلمة تستعمل عادة في التوسط لغفران الذنوب. غير أنّ مفهوم الشفاعة أوسع من ذلك وتشمل جميع العوامل والدوافع والأسباب في عالم الوجود⁷.

وهذه التعاريف مستقاة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية كما أنّها أخذت بعين الاعتبار المعنى اللغوي في صياغتها.

1كتاب العين 1: 260 - 261، مادة شفع.

2الصاح 3: 1238، مادة شفع، لسان العرب 8: 184، مادة شفع.

3معجم مقاييس اللغة 3: 201، مادة شفع.

4رسائل المرتضى 2: 273.

5المسلك في أصول الدين: 126.

6تفسير الميزان 1: 157.

7الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 2: 248.

مفهوم الشفاعة في القرآن

وردت مادة « شفع » فى ثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، وإذا ما تدبرنا هذه الثلاثين موضعاً أمكننا الخروج برؤية واضحة عن مفهوم الشفاعة فى القرآن الكريم، والشفاعة تعنى فى الاستعمالات العرفية تدخل شخص لدى شخص آخر بهدف تحصيل استحقاق منه فى حق أو حكم ثابت فى عاتق شخص ثالث. وهذا هو المعنى الذى استعمله القرآن الكريم فرفضه تارة وآمن به تارة أخرى . ولذا فالشفاعة فى القرآن الكريم على قسمين :

1 - شفاعة باطلة لأنها تتضمن معنى الشرك، من قبيل قول المشركين عن الأصنام: (هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)1. وبطلان هذه الشفاعة أوضح من أن يحتاج إلى بيان ، فهؤلاء اعتقدوا فى الشفاعة تدبيراً وتأثيراً على الله سبحانه وتعالى وهو باطل، فإن الشفاعة تقتضى بطبعها أن يكون الشفيع مقبولاً لدى المشفع ، فكيف تكون الأصنام شفيعاً عند الله ؟ ثم إن الشفيع ليس له قدرة مستقلة عن الله سبحانه، وبالتالي لا يمكن افتراض أن يكون مؤثراً فيه ، ولذا فهذه ليست شفاعة أصلاً وإنما ركام من الخيالات والأوهام . وفى ردّها، قال القرآن الكريم : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)2، وأوضح من ذلك قوله تعالى : (لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)3، وقوله تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)4 فكلام المشركين عن الشفاعة والشفعاء بلا أساس ولا مستند، لأن الشفاعة رحمة يفيضها الله على عباده عبر وسائط يختارها ويعينها بنفسه، والرحمة لا تدرك المشركين ، والشفعاء وسائط يعينهم الله ولا يختارهم المشركون ، والشفيع واسطة فى انتقال الرحمة وليس سبباً فيها ، ولأجل هذه الخصائص بطلت الشفاعة الشركية.

2 - شفاعة شرعية صحيحة، وهى ما كانت بإذن الله ، ومن قبل أفراد رضى الله عنهم وعيّنهم للشفاعة ، ولصالح أفراد رضى الله فى الشفاعة لهم ، فهنا ثلاثة شروط . ورد الشرط الأول فى عدة آيات، منها: قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)5.

وهذه الآية بنفسها دالة على الشرط الثاني لأن الإذن إذا صدر من الله سبحانه يكون إذنا في الشفاعة وفي الشفيع ، بما يعنى رضا الله سبحانه وتعالى عن الشفيع . أما الشرط الثالث فقد ورد فيه قوله تعالى : (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)6.

وحيث إنَّ القسم الأوّل من الشفاعة يفتقد هذه الشروط لذا سيجد المشركون أنفسهم فى يوم القيامة بلا شفعاء، وسيدركون بطلان الشفاعة التى اعتقدوها، وسيقولون بألسنتهم (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ)7.

ونحن إذا تأملنا فى القرآن الكريم لاحظنا اتجاهاً عاماً وأسلوباً شائعاً فى التعبير عن مظاهر القدرة والكمال؛ يتمثل بالنفى ثم الإثبات ثم الإفاضة.

فنجده آيات تنفى هذه المظاهر عن غير الله، وأخرى تثبتّها لله سبحانه، وقسم آخر يشير الى إفاضة الله بعض هذه القابليات على بعض مخلوقاته، وهذا الأسلوب بمراحله الثلاث استعمله القرآن الكريم فى مجالات الرزق والخلق والحكم والملك والتوفى. وهو جارٍ فى موضوع الشفاعة أيضاً، فإنَّ الآيات النافية للشفاعة عن غير الله سبحانه غرضها حصر الكمال والقدرة بالله ونفيها عن سواه، والآيات المثبتة للشفاعة غرضها بيان أن الذات الإلهية تتصف بهذا المظهر من مظاهر القدرة والرحمة اتّصافاً ذاتياً، والآيات التى تثبت الشفاعة لغير الله سبحانه غرضها التأكيد على قدرته ببيان أن هذه القدرة فى أعلى مراحلها، بحيث إنّ الله سبحانه وتعالى قد يتولى الشفاعة بنفسه وقد يحولها الى من يرتضيه من عباده وأوليائه، وهذا لا يجعل الشفاعة بمعنى الوساطة بل المقصود منها الإعانة كما يظهر ذلك من قوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)8 فى أنَّ الإعانة والشفاعة جميعاً مختصة بالله سبحانه، وليس لأحد منها نصيب بنحو الاستقلال9.

إنَّ العمل إنّما ينبجى فى محكمة العدل الإلهى إذا كان بالنحو المقتضى للنجاة، وهل هناك من يستطيع الادعاء بأنّه مستغن بعمله عن رحمة الله سبحانه؟ بل يوغل القرآن الكريم فى هذا الاتجاه حينما يشعّرنّا بأنَّ الأمور لا تخرج عن يده وسلطانه وقدرته

سبحانه وتعالى حتى عندما يقضى بقضاء حتمى لا تغيير له، كقوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ)10. فمع أنه تعالى قد حكم بالخلود فى النار على الأشقياء، وبالخلود فى الجنة على السعداء مادامت السموات والأرض غير أنه تعالى علّقه على مشيئته، إشعاراً منه بأن الأمور لا تخرج من يديه وقبضته حتى تلك التى يُصدر فيها أحكاماً حتمية، فإذا كانت أحكامه تعالى الحتمية لا تسلب عنه القدرة على شىء، ولا تضطرّه الى شىء، ولا توجب عليه شيئاً، وإذا كان الله سبحانه وتعالى يؤكد لنا على قدرته المطلقة التى لا يحدّها ولا يقيدّها شىء، فمن المناسب جداً أن يشير الى أنّ عمل الإنسان مهما كان صالحاً لا يغنيه عن رحمة البارئ تعالى ولا يحدّ من قدرته، وإذا كانت مشيئة الله شرطاً فى خلود من حكم الله نفسه بخلوده فى الجنة أو فى النار، فمن الأولى أن تكون شرطاً فيمن لم يصدر بحقه بعد الحكم الإلهي.

وليست الشفاعة إلا مظهراً لإرادة الله ومشيئته ورحمته المطلقة، وهى لا تكون للكافرين والمشركين بل لمن أحرز بعض مقدماتها كالذى يريد بلوغ مقام علمى رفيع لا بد وأن يكون قد أحرز بعض مقدماته، وبلغ درجة قريبة منه، فتكون الشفاعة هنا ذات معنى معقول، وهو المساعدة على بلوغ الهدف. ولا يكون لها معنى إذا طلبها الأُمى الذى لم يسع لأى من المقدمات ورغب فى بلوغ ذلك عن طريق الشفاعة. وكذلك لا تتم الشفاعة لمن لا رابطة له تربطه بالمشفوع عنده أصلاً، كالجاحد الطاغى على سيده، فإنه لا ينال رضى سيده بالشفاعة، فالشفاعة متممة للسبب وليست موجدة له. كما أن تأثير الشفيع عند المولى لا يكون جزافاً، فلا يحق له أن يطلب من المولى إبطال قوانين الجزاء والعقاب، ولا إبطال مولويته بحق عبيده، ولا يطلب منه رفع اليد عن أحكامه وتكاليفه، بل لا بد للشفيع من أن يسلم للمولى بمولويته على عبيده، وبقوانينه وأحكامه بحقهم، وبما يجريه من الجزاء عقاباً أو ثواباً لهم.

وإنما يتمسك الشفيـع بصفات فى المولى توجب العفو والصفح، وبصفات فى العبد تستدعى الرأفة والرحمة، كحسن سابقته، وسوء حاله، واعتذاره. أى أن دور الشفيـع ليس اخراج العبد من مولوية المولى ودائرة أحكامه وجزاءاته، وإنما يتمثل دوره فى السعى لنقل العبد من حكم مولوى الى رحمته تعالى.

1سورة يونس : الآية 18

2سورة البقرة : الآية 48

3سورة الأنعام : الآية 51.

4الزمر : 44 ،

5سورة البقرة : الآية 255 .

6الأنبياء : 28 .

7الشعراء : 100 .

8سورة الزمر: الآية 44.

9انظر: الشرك وعبادة الأصنام فى القرآن: 143.

10سورة هود : الآيات 106 - 108.

شفاعه فى الحديث

وردت أحاديث كثيرة صريحة فى الشفاعة عن الرسول (صلى الله عليه و آله)، وأهل بيته (عليهم السلام) ومنها:

1 - عن أبى نضرة قال: خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها فى الدنيا وإنى قد اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وأنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر... فيقال ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، قال (صلى الله عليه و آله) فأرفع رأسى فأقول أى ربى أمتى أمتى فيقال لى: أخرج من النار من كان فى قلبه كذا وكذا فأخرجهم 1.

2 - عن أبى هريرة عن النبى (صلى الله عليه و آله) فى قوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) 2 قال: الشفاعة 3.

3 - عن كعب الأحبار، والحديث نفسه عن أبى هريرة أنّ النبى (صلى الله عليه و آله) قال: لكلّ نبي دعوة يدعوها وأريد أن اختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة 4.

4 - قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إنّما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى 5.

5 - قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ... فمن سأل لى الوسيلة حلّت له شفاعتى 6.

6 - عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى... وأعطيت الشفاعة ولم يعط نبي قبلى 7.

7 - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إِنَّ رَبَّكُمْ تَطُولُ عَلَيْكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَغْفِرْ لِمَحْسَنِكُمْ وَشَفِّعْ مُحْسَنَكُمُ فَأَفِيضُوا مَغْفُوراً لَكُمْ⁸.

8 - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحُلُّ لِي وَلَا لَكُمْ، وَلَكِنِّي وَعْدَتُ الشَّفَاعَةَ⁹.
ومن طريق أهل البيت وردت روايات كثيرة في الشفاعة، نذكر منها:

1 - في تفسير نور البراهين عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي... راوى الحديث ابن أبي عمير يقول: فقلت له: يا ابن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله يقول: (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)¹⁰. ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى به؟ فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساء ذلك وندم عليه وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): كفى بالندم توبه... فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)¹¹»¹².

صدر الحديث يتضمّن أنّ الشفاعة تشمل مرتكبي الكبائر. لكنّ ذيل الحديث يوضّح أنّ الشرط الأساس في قبول الشفاعة هو الإيمان الذي يدفع المجرم الى مرحلة الندم وجبران ما فات، ويبيعه عن الظلم والطغيان والعصيان.

2 - في كتاب «الكافي» عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) في رساله كتبها الى أصحابه قال: «من سرّه أن ينفعه شفاعتنا الشافعين عند الله فليطلب الى الله أن يرضى عنه»¹³.

يتبيّن من سياق الرواية، أنّ كلام الإمام (عليه السلام) يستهدف إصلاح الخطأ الذي وقع فيه بعض أصحاب الإمام في فهم مسألة الشفاعة، ويرفض بصراحة مفهوم الشفاعة الخاطيء المشجع على ارتكاب الذنوب.

3 - وعن الصادق (عليه السلام) أيضاً: «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعباد: إنطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف تشفع للناس بحسن تأديك لهم»¹⁴.

في هذا الحديث نجد ارتباطاً بين «تأديب العالم» و «شفاعته لمن أدبهم» وهذا الارتباط يوضح كثيراً من المسائل المبهمة. أضف إلى ما سبق أن في اختصاص الشفاعة بالعالم وسليها من العابد، دلالة أخرى على أن الشفاعة في المفهوم الإسلامي ليست معاملة وعقداً وتلاعباً بالموازنين، بل مدرسة للتربية، وتجسيد لما مرّ به الفرد من مراحل تربية في هذا العالم¹⁵.

4 - وروى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: «لنا شفاععة ولأهل مودتنا شفاععة»¹⁶.

5 - عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «المؤمن مؤمنان ؛ مؤمن وفي لله بشروطه التي شرطها عليه، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفاً وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير»¹⁷.

وهناك أحاديث أخرى تتناول الشفاعة - التي ارتكزت في أذهان المسلمين كحقيقة ثابتة لا سبيل لإنكارها - عزفنا عن ذكرها رعاية للاختصار¹⁸.

1مسند أحمد 3: 247 - 248.

2سورة الإسراء: الآية 79.

3مسند أحمد 2: 444.

4صحيح البخارى 7: 145، كتاب الدعوات، صحيح مسلم 1: 130 - 131.

5مسند أحمد 3: 213، سنن ابن ماجه 2: 1441، سنن أبى داود 2: 421، باب الشفاعة، سنن الترمذى 4: 45.

6صحيح البخارى 1: 152، كتاب الأذان، سنن النسائى 2: 27.

7سنن النسائى 1: 211.

8الكافى 4: 258، ثواب الأعمال: 48.

9الكافى 4: 58، تهذيب الأحكام 4: 58.

10الأنبياء : 28 .

11سورة غافر: الآية 18.

12التوحيد: 408، تفسير نور البراهين 2: 423، تفسير نور الثقلين.

13الكافى 8: 11.

14بصائر الدرجات: 28، علل الشرائع 2: 394.

15الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل 1: 205 - 206.

16الخصال: 624.

17الكافي 2: 248.

18للمزيد من الإطلاع انظر كتاب: الشفاعة حقيقة إسلامية.

من هو الشفيـع

إتّضح مما سبق أن الشفاعة من جملة خصائص المولوية، فمن اتصف بالمولوية استطاع في دائرة نفوذ مولويته أن يمنح الشفاعة لمن يشاء لتكون مظهراً لرحمة المولى وقدرته في وقت واحد، وحيث إن مولوية الله سبحانه هي المولوية الحقيقية الوحيدة في الوجود، وما عداها مولويات اعتبارية، لذا كانت الشفاعة من جملة الحقائق المختصة به، قال تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) 1 وما عداها إما شفاعة كاذبة؛ كقول المشركين: (وَيَقُولُونَ هُوَ لَأَنْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) 2. أو شفاعة قد أذن الله بها فهي مأخوذة منه، عائدة إليه؛ كقوله تعالى: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) 3.

وقد صرّح القرآن الكريم بأن الشفاعة المأذون بها تعطى لأصناف منهم :

1 - الأنبياء: قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) 4. وفي الآية أعلاه قيود دقيقة لا بدّ من الالتفات إليها وهي: جاء في تفسير (ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) أي بخسوها حقّها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب، وتفويت الثواب بفعل الطاعة، أو قيل: (ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والنفاق.

(جاءوك) تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك (فاستغفروا الله) لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه (واستغفر لهم الرسول) أى سألت الله أن يغفر لهم ذنوبهم (لوجدوا الله) أى لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم⁵.

وكما فى قصة يوسف إذ جاء إخوة يوسف يسألون أباهم أن يستغفر لهم خطاياهم: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ⁶.

2 - الملائكة: قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)⁷.

3 - الشهداء بالحق: قال تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)⁸.

والشهداء بالحق هم طائفة من المؤمنين لابد وأن يكونوا أقل منزلة من الأنبياء (عليهم السلام)، وأعلى درجة من سائر أفراد الأمة، ولا شك أن أهل البيت (عليهم السلام) يأتون فى طليعة هؤلاء بوصفهم أبرز مصداق لمن شهد بالحق وعمل به وجاهد من أجله، فضلاً عن كونهم ممن نص القرآن الكريم على عصمتهم⁹.

وإذا طالعنا الأحاديث النبوية الشريفة وجدنا فيها تفسير ذلك :

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»¹⁰.

وقال (صلى الله عليه و آله): «الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبىكم وأهل بيته (عليهم السلام)»¹¹.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه فى كتاب (كشف الشبهات): «أن الشفاعة أعطىها غير النبى (صلى الله عليه و آله) فصَحَّ أن الملائكة يشفعون ، والأفراط¹² يشفعون، والأولياء يشفعون»¹³ استناداً الى أحاديث أوردها البخارى فى صحيحه ومسلم فى صحيحه أيضاً¹⁴، وأحمد فى مسنده بهذا المعنى كما يلى:

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (صلى الله عليه و آله)، قال: «قد أعطى كل نبي عطية، فكل قد تعجلها، وإنى أخرت عطيتي شفاعاً لأمتي، وإن الرجل من أمتي ليشفع لفئام من الناس فيدخلون الجنة، وإن الرجل ليشفع لقبيلة، وإن الرجل ليشفع للعصبة، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل»15.

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)16، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون...»17.

1سورة الزمر: الآية 44.

2سورة يونس : الآية 18

3سورة مريم : الآية 87 .

4 سورة النساء: الآية 64..

5تفسير مجمع البيان 3: 119.

6سورة يوسف: الآيتان 97 و98.

7سورة النجم : الآية 26.

8سورة الزخرف : الآية 86.

9راجع تفسير سورة الأحزاب : 32.

10سنن ابن ماجه : 2 : 3 : 144 : 4313، تاريخ مدينة دمشق 34: 41، ترجمة عبد الجليل بن محمد، برقم 3693، الجامع

الصغير، جلال الدين السيوطي 1: 434، ح 2834، كنز العمال 10: 151، ح 28770.

11كنز العمال : 1 : 390، الجامع الصغير 2: 86.

12الأفراط: المتقدمون الى الشفاعة ، راجع لسان العرب مادة فرط.

13كشف الشبهات : 70.

14صحيح البخارى 8: 300 - 301 كتاب التوحيد، صحيح مسلم 1: 124 - 128 (باب أدنى أهل الجنة منزلة).

15مسند أحمد بن حنبل 3: 20 ما أسند عن أبي سعيد الخدرى.

16سورة النساء: الآية 40.

17صحيح مسلم 1: 116 كتاب (الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية) ذيل الحديث.

المشفوع الهـم

وقع البحث بين علماء المسلمين فيمن تكون له الشفاعة، فقالت المعتزلة : إن شفاعة الرسول (صلى الله عليه و آله) تكون للمطيعين، لأجل زيادة الثواب وعلو الدرجة لهم، ولا يمكن أن تكون للعاصين، للآيات الدالة على إرتهان الإنسان بعمله، ولأن

الشفاعة لاثمحو الذنوب. وجاء عن أبي الحسن الخياط - أحد أعلام المعتزلة - أنه كان يحتج على القائلين بالشفاعة بقوله

تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)1.

ولا يخفى أن المراد من الآية الكريمة الكافرين والمشركين وهؤلاء لا تشملهم الشفاعة، وإنما تشمل الشفاعة أهل الإيمان ممن ارتكب الكبائر.

وعلى ذلك رأى جمهور المسلمين أن الشفاعة لأهل المعصية من المسلمين، دون الكفار والمشركين لقوله (صلى الله عليه و آله): «أدخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»2.

وقد استدلل العلامة الطباطبائي على هذا رأى بالقرآن الكريم، حيث قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيُّومَ الدِّينِ * حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)3.

حيث ميّزت هذه الآيات بين أصحاب اليمين وبين المجرمين، وذكرت صفات جرّت المجرمين الى النار وأدّت الى انتفاء الشفاعة عنهم.

ومقتضى هذا البيان، ومن خلال سياق المقابلة والمقارنة والمقايسة ، أن أصحاب اليمين الذين لم يتصفوا بتلك الصفات قد فازوا بشفاعة الشافعين، وكأن مصير المجرمين كان لأجل سببين، أحدهما : ارتكاب مخالفات أساسية فى مقياس الدين، ثانيهما: انتفاء الشفاعة بحق من يرتكب مثل هذه المخالفات.

ومن خلال سياق المقابلة نفهم أن مصير أصحاب اليمين ناتج عن انتفاء هذين السببين، فلم يرتكبوا مخالفات أساسية من جهة، بالنحو الذى جعلهم مشمولين بالشفاعة من جهة ثانية، فأصحاب اليمين هم الفائزون بالشفاعة، وهم المرضييون ديناً واعتقاداً

سواء كانت أعمالهم مرضية غير محتاجة الى الشفاعة يوم القيامة أو لم تكن، وهم المعنيون بالشفاعة، فالشفاعة للمذنبين من أصحاب اليمين، ومن كان له ذنب باق الى يوم القيامة فهو لا محالة من أهل الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكفراً عنه وبذلك اتضح: أنّ الشفاعة لأهل الكبائر من أصحاب اليمين. وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أمّا المحسنون فما عليهم من سبيل»⁴.

وبالتطبيق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى: (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ⁵ يعتقد (قدس سره) أن أصحاب اليمين هم الذين ارتضى الله سبحانه الشفاعة لهم، وأن الارتضاء المذكور في الآية ليس ارتضاءً للعمل، لأن بعض أعمال المشفوع لهم سيئة غير مقبولة، فلا بد أن يكون معنى الارتضاء هو ارتضاء الدين، بمعنى كون دين المشفوع لهم مستوفياً للشروط الأساسية المطلوبة.

1سوره الزمر: الآية 19.

2الفصول المختاره: 78.

3سورة المدثر : الآيات 38 _ 48 .

4تفسير الميزان 1: 170.

5سورة الأنبياء : الآية 28 .

شبهات وردود

وفى ضوء ما سبق نستطيع أن نجيب على عدة شبهات أثّرت حول الشفاعة هي:

الشبهة الأولى: إنّ الشفاعة تعنى خضوع الله سبحانه لتأثير مخلوق من مخلوقاته .

الجواب : إنّ المغفرة الإلهية لها عدة أسباب، منها: الدعاء، والتوبة، والشفاعة.. وكما أن قبول الدعاء والتوبة وتحقق المغفرة بهما، لا يعنى خضوع الخالق للمخلوق، وإنما يعنى إفاضة الرحمة الإلهية على العبد بعد تحقق شرطها وبنحو قرره الله سبحانه نفسه ، ولم يفرضه أحد عليه، كذلك الشفاعة سبب علّق عليه الخالق سبحانه إفاضة الرحمة على عباده، وهذا التعليق جاء لغرض تربوى يتمثل بتوثيق صلة الناس بالأنبياء والأولياء وتوكيد موقعهم كقدوة وقائد للمجتمع البشرى . وما دام إنّ الله سبحانه هو الذى فتح باب الشفاعة وهو الذى عيّن الشفعاء وحدّد خصائص ونوعية المشفوع لهم فلا يبقى أى أساس لهذا الإشكال .

الشبهة الثانية: إنّ اللازم من الشفاعة أن يكون الشفيع أكثر رحمة وشفقة من الله سبحانه وتعالى.

الجواب: قد اتّضح مما تقدم أن الله هو الذى جعل الشفاعة وأذن بها لمن شاء. فالشفاعة ليست مبادرة يقوم بها الشفيع بنحو مستقل عن الارادة الإلهية ، وإنّما هى باب فتحه الله وحدد شروطه وأشخاصه ليفيظ رحمته على عباده عبر الشفعاء ، فشفقة الشفعاء شعاع مستعار من تلك الشمس.

الشبهة الثالثة: إنّ الشفاعة تعنى وجود حكمين مختلفين للعبد: حكم قبل الشفاعة، وهو العقوبة بالعذاب، وحكم بعد الشفاعة، وهو النجاة والفوز بالنعيم . فإن كان الأوّل هو الموافق للعدل والحكمة كانت الشفاعة أمرا مخالفا للعدل ، وإن كان الثانى هو الموافق للعدل والحكمة كان الأوّل ظلما.

الجواب : إنّ لهذه الحالة نظائر ، ومن نظائرها نزول البلاء على العبد قبل الدعاء، أو قبل إعطاء الصدقة، أو قبل صلة الرحم ، وارتفاع البلاء عنه بعد تحقق الدعاء، أو الصدقة أو صلة الرحم منه . والحكمة قائمة فى نزول البلاء وفى ارتفاعه بتلك الأسباب معا، والأمر كذلك فى الشفاعة. بمعنى أن الذنب الصادر من المؤمن لا يشكّل علّة تامة لوقوع العقاب، بحيث لا يمكن أن ينفك العقاب عنه، وإنّما يشكل مقتضياً للعقاب، فإذا حصل ما يمنع وقوعه لم يقع، وقد وضع الله تعالى مواضع لوقوع العقاب ، كالنوبة، والشفاعة، والأعمال التى تكفّر الذنوب ، فإذا حصل شيء من هذا القبيل امتنع تحقق أثر الذنب.

ويمكن أن يقال : بأن الحكم بالعقوبة قبل الشفاعة موافق لعدل الله ولعمل العبد واستحقاقه، والحكم بالنجاة بعد الشفاعة موافق لرحمة الله وشفقته ورأفته .

الشبهة الرابعة: إنّ الوعد بالشفاعة موجب لجرأة الناس على المعاصى.

الجواب: إنّ الأمر إذا كان كذلك فلا بد من غلق باب التوبة ورجاء الرحمة الإلهية ، فإن حكمة الله شاءت أن يفتح أبواب الأمل بوجه العاصين من عبادته، لكى تبقى لهم بقية ارتباط معه ولا يقعون ضحية اليأس والقنوط الذى يؤدى بهم إلى المزيد من التردى والانحطاط .

وسوف لا يكون فى الشفاعة - كما فى المغفرة وقبول التوبة - إغراءً بالذنوب والمعاصى بحال من الأحوال ، وإنّما هى منافذ للرجاء والأمل ، وذلك لأمرين:

أحدهما: إنّ الوعد بالشفاعة لم يعيّن أشخاص المذنبين الذين ستقبل فيهم الشفاعة، فما زال العباد إذاً يرجون أن ينالوها، وليس أكثر ، ومن هنا دخلت فى الدعاء على هذا النحو، كما فى دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) : «وشفع فيّ محمداً وآل محمداً، واستجب دعائى...»¹.

الثانى: إنّ المولى تعالى لم يحدد أنواع الذنوب التى تقبل فيها الشفاعة، ولم يصرح بمستوى تأثير الشفاعة ، فهل أنها ستزيل كل ألوان العقاب أصلاً، أم لا ؟ من هنا فالأمر لم يخرج عن دائرة الرجاء الى دائرة الإغراء.

الشبهة الخامسة: إنّ الشفاعة الجائزة هى أن يدعو المؤمن قائلاً: «اللهم شفّع نبينا محمّداً فينا يوم القيامة»، ولا يجوز له أن يقول: يا رسول الله اشفع لى يوم القيامة. لأنه من الشرك فى العبادة الذى يشبه عمل عبدة الأصنام الذين كانوا يقولون: (هُؤْلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) 2 وأن الله يقول: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) 3، وبالتالي فالشفاعة بالصيغة الثانية تكون من قبيل طلب الشفاعة من غير مالکها، وأن طلب الشفاعة من الميت أمر باطل.

الجواب: إنّ الشرك فى العبادة يقوم على ركنين هما:

- 1 - اعتقاد التدبير والخلق فيمن يُتخذ إلهاً، أو الاعتقاد بأن أمور الخلق والتكوين قد فوّضت إليه.
 - 2 - إبداء الخضوع والتسليم للذات المتخذة إلهاً كتعبير عن العبادة لها. وطلب الشفاعة من الرسول (صلى الله عليه و آله) والأولياء يفتقد هذين الركنين، فليس هناك اعتقاد بقدرة ذاتية فى الرسول (صلى الله عليه و آله) على التدبير والخلق، وليس هناك اعتقاد بأن الأمور قد فوّضت إليه تقويضاً يخرجهم عن إرادة الله، وليس هناك خضوع وتسليم له بما هو شخص وإنسان، وكل ما هناك أن للرسول (صلى الله عليه و آله) عند الله مكانة ومنزلة رفيعة بحيث جعل له أن يشفع لأُمتة.
- والآية الواردة فى الاشكال بدايتها هكذا: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...) 4، فالشفاعة الشركية الباطلة جاءت مقرونة بعبادة الأصنام، متفرعة عليها، ومن هنا جاء بطلانها ، وليس الأمر فى طلب الشفاعة من الرسول مقروناً بعبادته حتى يكون باطلاً.

ثم إنَّ المعيار في الحكم بالصحة والبطان ليس هو المشابهة الصورية بين فرض وفرض آخر، ولو كان الأمر كذلك لكان السعي والطواف ونحوهما من جملة مظاهر الشرك ، لأنَّ المشركين كانوا يقومون بهما.

وأما قوله تعالى: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) فالجواب فيه نفس ما مضى، وهو أن الآيّة ناظرة الى ما كان من الدعاء بنحو العبادة، وإذا كان الداعي يخاطب رباً وإلهاً، فجاءت الآيّة لتنتهي عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى في باب الدعاء، وليست ناظرة الى كل طلب من كل مطلوب، ولو كانت بهذا المعنى لكانت ناهية عن شيء هو قوام الحياة الاجتماعية بحيث لا يمكن افتراض قيام الحياة الاجتماعية بدونه وهو التعاون، وهل يعقل أن ينهى الشرع عن طلب يتقدم به المسلم لدى مسلم آخر ويريد منه إنجازه ؟ وهل يسمّى هذا النوع من السلوك دعاءً لغير الله؟ قد يقال: إنّ الشفاعة ليست من هذا النوع، وإن وجه الاشكال فيها أنها طلب شيء من خصوصيات الإله والمعبود، وأن الآيّة ليست ناهية عن كل طلب، وإنما هي ناهية عن طلب ما كان من خصوصيات الألوهية، وأن هذا النوع من الطلب من مصاديق دعوة غير الله سبحانه.

والجواب: إنّ طلب الشفاعة من الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يراد به اطفاء خصوصية الألوهية عليه (صلى الله عليه وآله) حتى يكون من قبيل دعوة غير الله سبحانه، بل لما ثبت أن الله سبحانه وتعالى قد أذن للرسول (صلى الله عليه وآله) بالشفاعة جاز لنا أن نطلب ذلك منه، كما نطلب حاجتنا من كل قادر عليها، وهو طلب يؤكد التوحيد وليس فيه شائبة من الشرك، لأنه ينتهي الى إذن الله سبحانه. وإنما أبطل الله الشفاعة الشركية بقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) 5 لأنّ هذه الشفاعة لا تنتهي الى إذن الله سبحانه ، فإن الله لم يأذن في شفاعة هؤلاء، ولم يجز للإنسان أن يختار شفعاء بنفسه، وإنما أجاز له أن يطلب الشفاعة ممن هو مأذون من قبله تعالى في ذلك، وشفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) من هذا القبيل .

وأما قولهم: «إنَّ طلب الشفاعة من الرسول (صلى الله عليه وآله) طلب لها من غير مالکها» فقد اتضح جوابه، فإن المالك الحقيقي للوجود هو الله سبحانه وتعالى، وكل مالك عداه إنما يملك بالملكية الاعتبارية الصورية، فإن كان الغرض من هذا

الاشكال عدم جواز طلب شيء إلا من مالكة الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، فهذا المعنى يلزم منه إبطال الحياة الاجتماعية القائمة على التعاون والتبادل وطلب الأشياء ممن يملكها بالملكية الاعتبارية، وطلب الشفاعة من الرسول (صلى الله عليه وآله) طلب لها من مالكة الاعتبارية، بعدما ثبت أن الرسول (صلى الله عليه وآله) مأذون من قبل الله سبحانه في الشفاعة لأُمته، وإذا كان طلب الأشياء ممن يملكها بنحو الملكية الاعتبارية باطلاً وشركاً، فلتتوقف الحياة الاجتماعية لأنها حياة لا تقوم إلا بما هو شرك باطل!!

وأما قولهم الأخير بأن: «طلب الشفاعة من الميت أمر باطل وأن شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) من هذا القبيل» فهو أوهم من بيت العنكبوت، وهو لا يتناسب مع إنسان يؤمن بالغيب، وإنما يتناسب مع إنسان مادي يرى المادة خلاصة الوجود وحدها الأخير، فنحن لسنا ممن يؤمن بأن الجسد هو بداية الإنسان ونهايته، فإذا مات وأقبر وأُحد انتهى كل شيء، وإنما نؤمن بأن الحقيقة الإنسانية متجسدة بالروح، وأن الجسد مظهر مادي لهذه الحقيقة وأن الموت ينال الجسد ولا ينال هذه الحقيقة، هذا بالنسبة لكل إنسان، أما الأنبياء والأولياء المقربون من الله سبحانه وتعالى فلأرواحهم شأن خاص ومنزلة خاصة ليس بوسعنا إدراكها، وبالتالي فنحن لا نطلب الشفاعة من الجسد الميت، وإنما نطلبها من الروح التي لا تموت، نطلبها من روح إنسان هو أشرف الأنبياء والمرسلين، ولو كانت علاقتنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) علاقة بجسد ميت فما معنى سلامنا عليه في الصلوات اليومية الخمسة؟ وما معنى شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) علينا وعلى أعمالنا كما هو صريح القرآن الكريم؟

وبعد كل هذا فقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه علم بعض أصحابه التوسل به وطلب الشفاعة منه، وذلك في المشهور من قصة الأعمى الذي شكى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) حاله، فأرشده أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يقول بعدهما: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في

حاجتي ليقضيها، اللهم فشفّعه فيّ» فعل ذلك فردّ الله إليه بصره. وقد نقل ابن تيمية نفسه هذه القصة ونقل عن الكثير من السلف العمل بهذا الدعاء في حياة النبي وبعده6.

1الصحيفة السجادية 2: 282، في أدعية شهر رمضان.

2سورة يونس : الآية 18

3سورة الجن: الآية 18.

4سورة يونس: الآية 18.

5سورة يونس: آية 18 .

6انظر: التوسل والوسيلة لابن تيمية: 97 _ 106.

خلاصه البحث

إنّ الشفاعة رحمة يفيضها الله على عباده عبر وسائط يختارها ويعيّنهما سبحانه وتعالى لأهل التوحيد، كما نصّ على ذلك كتاب الله تعالى ونصوص السنّة النبوية. وأنّ الشفاعة تجري في أهل الكبائر من المسلمين، فيشفع فيهم الرسول وأهل بيته (عليهم السلام)، والأنبياء (عليهم السلام)، والملائكة، ومن شهد بالحقّ. أمّا ما أُثير من شبهات حول الشفاعة فذلك مبني على عدم

التمييز بين الشفاعة الباطلة من الصحيحة، حيث أخذت الآيات والروايات وفسرت تفسيراً خاطئاً على نحو واحد وهو الشفاعة الباطلة.

وليس في طلب الشفاعة شيء من الشرك ، بل هي شاهد آخر على إرادة الله المطلقة وقدرته الفائقة ورحمته الواسعة ولطفه العليم الذي جعله لمن كان قابلاً لذلك.

وقد ثبت من خلال النصوص الشريفة إنَّ الله تعالى قد أذنَ لنبيِّه (صلى الله عليه و آله) في حياته وبعد مماته أن يشفع في أمته تكريماً له.

المصادر

القرآن الكريم.

1 - الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

2 - بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى (290 هـ)، منشورات الأعلمي، طهران، سنة الطبع (1404 هـ).

3 - تهذيب الأحكام ، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى (460 هـ)، دار الكتب الإسلامية ط 4 (1365 ش) .

4 - التوحيد: الشيخ الصدوق المتوفى (381 هـ)، منشورات جماعة المدرّسين، قم.

5 - تاريخ مدينة دمشق، عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة (571 هـ)، دار الفكر، بيروت،
سنة الطبع (1415 هـ).

6 - تفسير مجمع البيان، الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (548 هـ)، مؤسسة الأعلمي بيروت ط 1 (1415 هـ).

7 - تفسير نور الثقلين، ابن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى (1112 هـ) تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة
إسماعيليان، قم، ط 4 (1412 هـ).

8 - التوسّل والوسيلة، ابن تيمية الحرّاني المتوفى (728 هـ).

9 - ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق المتوفى (381 هـ)، طبع أمير - قم، ومنشورات الشريف الرضي، ط 2 - 1368 ش.

10 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (911 هـ)، دار
الفكر، بيروت ط 1 (1401 هـ) .

11 - الخصال، الشيخ الصدوق المتوفى (381 هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرّسين، قم، سنة الطبع
(1403 هـ).

- 12 - رسائل السيّد المرتضى علم الهدى، علىّ بن الحسين بن موسى المتوفى (436 هـ)، دار القرآن الكريم، قم.
- 13 - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى (275 هـ)، دار الفكر - بيروت ط 1 (1410 هـ).
- 14 - سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى (279 هـ)، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط 2 (1403 هـ).
- 15 - سنن النسائي، النسائي المتوفى (303 هـ)، دار الفكر بيروت ط 1 (1348 هـ - 1930م).
- 16 - سنن بن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى المتوفى (273 هـ)، دار الفكر، بيروت.
- 17 - الشرك وعبادة الأصنام فى القرآن، سيّد عباس سيّد كريمى الحسينى، نشر كوثر أدب، قم، ط 1 - 1385 ش.
- 18 - الشفاعة حقيقة إسلامية، مركز الرسالة، قم.
- 19 - الصحيفة السجادية، الإمام السجّاد (عليه السلام) المتوفى (94 هـ)، مؤسسة الإمام المهدي (عج)، قم، سنة الطبع (1425 هـ).
- 20 - صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى المتوفى (256 هـ)، دار الفكر - بيروت ط سنة (1401 هـ).
- 21 - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى المتوفى (261 هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى.
- 22 - الصحاح، الجوهري المتوفى (393 هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة 1987م.

23 - علل الشرائع ، أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالصدوق المتوفّي سنة (381 هـ) ،

منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة الطبع (1386 هـ / 1966م).

24 - الفصول المختارة، الشيخ المفيد المتوفّي (413 هـ)، دار المفيد، بيروت، ط 2 (1414 هـ).

25 - كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّي (170 هـ)، مؤسّسة دار الهجرة، ط 2 (1409 هـ) .

26 - الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفّي (329 هـ)، تحقيق عليّ أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 3

- 1367 ش.

27 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عليّ المتقيّ بن حسام الدين الهندي المتوفّي (975 هـ)، مؤسّسة الرسالة، بيروت،

سنة الطبع (1409 هـ).

28 - كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب المتوفّي (1206 هـ)، دار الصميعي، الرياض، ط 1 (1418 هـ).

29 - لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المتوفّي (711 هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، سنة الطبع

(1405 هـ).

30 - مسند أحمد ، أحمد بن حنبل المتوفّي (241 هـ) ، دار صادر - بيروت، ط 1 .

31 - الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي المتوفّي (1402 هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

32 - المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي المتوفى (676هـ)، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، ط 2 (1421 هـ).

).

33 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس المتوفى (395 هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي، سنة الطبع (1404 هـ).

34 - نور البراهين، السيّد نعمة الله الجزائري المتوفى (1112 هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط 1 (1417 هـ).
